

المطران بولس الخوري

مَنظُومَاتٌ

المطران بولس الخوري

مُقـــدّمة

كنت في صباي مولعاً بقراءة الشعر العربي . وخاصةً ديوان « المتنبي » والمعلّقات.

وحين اطلعت على كتاب جبران خليل جبران « المواكب » قلت : لقد أساء جبران الى نفسه بنشره هذه القصائد التي لا تتناسب مع كتاباته النثرية .

واليوم إذ أنشر بعض منظوماتي أقول عن نفسي ما قلته عن جبران في ذلك الحين .

وإقراراً مني بأنها ليست شعراً سمّيتها « منظومات » .

وما نشرتها إلا للذكرى والتاريخ .

صيدا آذار ١٩٧٥

المطران

بولس الخوري

يا بني العُرب نهوضاً

في مدرسة البلمند ١٩١٢

عندما درست علم العروض على الأستاذ جرجي شاهين عطيه فرض علي أن أنظم قصيدة على بحر الرمل . فنظمت الأبيات التالية :

يا بني العُرب نهوضاً قد بدا … في سماء الشرق نورٌ للهدى
وانفضوا عنكمْ غبار الجهل إذْ … ها مياه العلم طابت موردا
والبسوا ثوباً جديداً وانزعوا … عنكمُ للذلّ والعار الرِّدا
هذّبوا الأولاد فالتهذيب من … أول الحاجات فينا قد غدا
وانزعوا الأوهام من أذهانهم … واتركوا الغول المخيف الأسودا
واغرسوا غُرَّ المبادي فيهمِ … وَلهم كونوا على الخير قُدى
أنقذوهم من شباكِ الشر إذْ … كان بحر الكون دوماً مُزبدا
واعلموا أنَّ الفتى غصنٌ نَدٍ … إنْ هوى لم يلْق خلاً مُنجدا
رحم الله الذي قد قال أنْ … للفتى من دهره ما عُوِّدا(١)
عوّدوهم كل ميـلٍ صالح … واحذروا شرَّ أثيم أفسدا

---

(١) قصدت به « المتنبي » .

نحن سكانٌ لأرضٍ بل سما ... في قديم العهد فاقت سؤددا
نحن من قوم كرام اخوتي ... قد سموا علماً وطابوا محتدا
ما لنا للذلّ بتنا هدفاً ... نرتضي استبداد أقوام عدى
غُرّة الإصلاح بانَتْ فانهضوا ... يا بني لبنان نلقَ المقصدا
واصعدوا أوج المعالي واجعلوا ... داعيَ الإصلاح فيكم مرشدا
واتحدونا نحن فتيان بكم ... في اقتحام الظلم لا نخشى الردى
وانهضوا للحرب إنّا نرتضي ... عن بلاد العُرب أن نقضي فِدى

عهد مضى

بتعبوره في سنة ١٩١٣

تعاتبني فقلتُ لها دعيني ... وعن عهدٍ مضى لا تسأليني
نسلتُ من الهوى العذري شمالي ... ومن نار الغرام نجت يميني
وها أنا في شبابي صرت كهلاً ... كأني عشتُ من بدء السنين
عركتُ النائبات فلا أبالي ... إذا ما احلولكَتْ أفق الشجونِ
أفرّج كل همٍّ بابتسامٍ ... وأنظر للبعيد من الشؤون

رثاء

بتعبوره سنة ١٩١٣

عبثاً تحاول أن تعيش سعيدا ... وترى الردى لك في العداء لدودا
وإذا بلغت من السعادة جانباً ... تلقى من الباقي الكثير صدودا
فسعادة الإنسان وهم ظاهرٌ ... إذ لا يرجّي في الحياة خلودا
أمّا إذا نهج الفتى طرق الهدى ... وغدَتْ له سبلُ الصلاح حدودا
وتقدّست أفعاله فاذا قضى ... كانت له تلك الفعال شهودا
ومضى إلى دار السعادة فائزاً ... وهناك يلبس للخلود برودا

كم لهذي النفوس من أمنية

سنة ١٩١٤

كم لهذي النفوس من أمنيّهْ ... ينقضي العمر والأماني فتيّهْ
كل يومٍ لنا مذاقٌ جديد ... وبنفسي لكل شيء شهيّهْ
إنما العقل كاللجام لقلبي ... يكبح الميل فيه نحو الخطيّهْ
كلّما نابني في حياتي أمر ... أمعن الفكر باحثاً برويّهْ
وإذا ما رأيت أمراً مضراً ... حدتُ عنه بصدق عزمٍ ونيّهْ

الجراد

بتعبوره أول نيسان سنة ١٩١٥

نَزل ٱلجراد بأرضنا فكأنه   جيش على مُلك النباتِ يُغير
إن حلّ في أرضٍ يغادرها وقد   أمست وليس من النبات جذور
جرداء يتركها ولا عجب إذا   ترك ٱلجراد ٱلأرض وهي صخور
حجبتْ ضياء الشمس كثرته كأن   رأد الضحى قد خيّم الديجورُ
سلّ السيوف على النبات وقصده   حرباً عواناً في الشعوب يثيرُ
وأظنّ يا اخوان أن مجيئه   هذا إلى غضب السماء يُشيرُ
لم يكفنا حكم الطغاة وظلمهم   والجوع والتشريد والتدميرُ
حتى اعتدى سرب الطيور وهكذا   دولاب هـذا ٱلدهر حين يدورُ

مَن أنا

سنة ١٩١٨

لا ينجح ٱلإنسانُ بالأقوال   بل بالمزايا الغُرّ والافعالِ
فتبصّري يا نفس واعتبري ولا   تدعي ٱلزمان يمرّ بالآمالِ
هذا الشباب يكاد أن يمضي وذا   للدرس لو تدرين وقت غالِ
فعليك بالكتب ٱلمفيدة واتركي   ما شأنه تكدير صفو البالِ

واليك ما عندي من ٱلحسنات إن   جازت لنا حرية ٱلاقوال
عقلي يميل إلى ٱلمعارف والهدى   وأرى ٱلزمان لها قصير مجالِ
لي جرأة أدبية لا استحي   بحقيقتي من صاحب ٱلإجلالِ
والنفس فيّ أبيّة لا ترتضي   ذلاً ولو في ٱلموت والاهوالِ
وأريد أن أبقي حميد مآثر   بعدي تدوم على مدى ٱلاجيالِ

والسيئات كثيرة عندي فلي   طبعٌ يؤثّره طروق خيالِ
وإذا لقيت من ٱلجليس تجاوباً   حالاً أحدّثه بواقع حالي
لا أرتجي ما استحق من الورى   وأرى ٱلحياة ثقيلة ٱلاحمال
والدهر في شأن الكرام مقصّراً   إذْ أنه يأتي مع الأنذالِ

هذا أنا وكذا وُلدت فليس لي   ذنبٌ بأطباعي وكل خصالي

اترغب أن تصير فتى غنياً

سنة ١٩١٨

رأى الولد الفقير فتىً غنيًّا   وكان العمر بينهما سويًّا
فقال : علام هذا في رداءٍ   جميلٍ يأكل الأكل الشهيّا
يحفّ بـه أكارم كل قومٍ   ويدعو الكلّ أن يبقى هنيّا
أراه بيننا عيًّا ضعيفاً   وبـين القوم سحباناً قويّا
وان يكُ خاملاً عقلاً وقلباً   يُعَدُّ لدى جماعته ذكيا
ونحن نئن من برد وحر   ويطردنا الملا عنهم قصيًّا
نقاسي الجوع والاتعاب حتى   نعيش ولا نرى يوماً رضياً
فهل خلق الإله فتى سعيداً   ليخلق مثلنا ولداً شقياً

فقلت وقد وعيت له كلاماً   أترغب أن تصير فتىً غنيا ؟
أجاب وكيف لا فأجبته أذهبْ   وخُذْ عملاً ولو مهما دنيًّا
وثابرْ باجتهادٍ واقتصادٍ   وعشْ للشغل مصداقاً وفيًّا
فلولا الإقتصاد لما رأينا   غنياً بيننا أضحى عليا
وان ترك الغنيُّ الشغل أمسى   فقيراً من كرامته خليا
فذا نُصحي أقدمه مجاناً   لكلّ فتىً ألا افهمْ يا بُنيًّا

الزلزال

نظمتها في دير مار جرجس الحميراء
جواباً على كتاب وردني من شقيقي
فهيم يخبرني فيه عن الزلزال الذي حدث
سنة ١٩١٨
في ١٦ أيلول ١٩١٨

أتاني الدهر من نُوب الليالي   بما تهوي له شمُّ الجبالِ
سقـام في شبابي واهتمام   بتطبيق الحياة على المعالي
وبعدٌ عن أخلّاءٍ وأهلٍ   لهم عندي فؤاد غير سالِ
أفكّر فيهمِ ليلاً نهارا   وأذكر أنس هاتيك الخوالي

رعاك الله يا لبنان يا مَن   قضينا فيك أيام الدلالِ
أحنّ اليك يا وطني اشتياقاً   فليس سواك ينعم فيه بالي
أحنّ إلى ربوعك حيث تجري   عيون الأرض بالماء الزلال

وفي شرّ الأوان أتى كتاب   يجرّ إليّ أذيال النكالِ
يقول به الفهيمُ بيوتنا قد   طواها الدهر في صحف البوالي
وجلّ بيوت قريتنا غدت في   خرابٍ بعد ذيّاك الجمالِ
زلازل دمّرت دوراً بمدنٍ   كثيراتٍ على هذا المثالِ

وقفت على طلول ديار أهلي   أجيل الطرف في شخص الخيال

فيا لهفي على ما أتلفته   أيادي الردم من طيبٍ وغالِ

فكم رسم جميلٍ كم كتابٍ   نفيس صيّرته للزوال

وكم ثوب ثمين مع أثاثٍ   توارى تحت هاتيك التلال

وأهلي بانهاك واشتغال   وكل الناس عنهم بانشغال

أجل فاغرورقت عيني بدمعي   ونحت على الديار بذا السؤّال

ألا يا دار أين عهود وَدي   وأين اليوم وعدك بالوصال

نكثتِ العهد في بعدي وهذا   سبيل الخائنات من الخصالِ

رضيتِ شماتة الاعداء فينا   ففازوا بالمرام بلا قتال

لقد شدناكِ من شرف ومجدٍ   وعشنا فيك في حسن افعال

وكنت محجّة الوطن المفدى   يحط القوم عندك بالرحال

فكافاك الزمان بما يكافي   به من كان محمود الخلال

ولكن يشهد الرحمن أني   عركت النائبات فلا أبالي

فكأس العيش من مرّ وحلوٍ   وما الدنيا سوى حرب سجال

وان عشنا نشيد سواكِ داراً   ونرفعها على هام العوالي

على قبر رفيق

هو رفيق رزق سلوم (أحد خريجي مدرسة البلمند) استشهد مع معلمه الإمام عبد الحميد الزهراوي وكلاهما من مدينة حمص.

نظمتها في دير مار جرجس الحميراء سنة ١٩١٨

رفيق انهضْ لقد تمّ المرامُ   وحلّ بأرض سوريّا السلامُ

قضيتَ لكي يعيش العُربُ فانظرْ   شعوب العُرب قد بعثوا فقاموا

أهيل العُرب لا تنسوا رفيقاً   وأنداداً له قُتلوا فداموا

فلاستقلالنا عاشوا وماتوا   وكان لهم بـه ذاك الهيامُ

فصاح رفيق إن يكُ في حمامي   حياة العُرب أهلاً يا حمامُ

وأحنى الركب إجلالاً لدُنْ قد   تقدّمه معلمه الهمامُ

وقبّل آلة الاعدام شوقاً   وفي فمه لذا الفوز ابتسام

كذا الاحرار والابطال طرًّا   وهل في الناس حرٌّ لا يُضام

فما المجد الاثيل لغير حُرٍّ   يذوق الموت كي يحيا الانام

وما معنى الحياة لغير شهمٍ   من الإصلاح قام به ضرام

ألا فليذرف ألأعراب دمعاً — على شهدائنا ولتحنَ هامُ
لفقدك يا رفيق فؤاد كلٍ — من ألإخوان تنفذه سهامُ
لنا ولأمك البلمند حزنٌ — وفخر في الحشا لهما اضطرام
فيا قبر الرفيق عليك مني — ومن رفقائنا أبداً سلامُ

على نهر الجوز

كنا على نهر الجوز مع الادباء : علي ناصر الدين . ويوسف يزبك . وصلاح لبابيدي . واميل يزبك . والشقيقين إبراهيم وفهيم . فطلبوا مني نظم الشعر فقلت . وكان ذلك سنة ١٩٢٩ :

يذكّرني ذا النهرُ عهداً تقطّعا
وخير رفاقٍ قد قضَينا الصِبا معًا
فكنا نرود النهر حيناً لنرتوي
وحيناً لنلقى للتنزّه مرتعا
فيا نهرُ هل تدري بأنـك ثابت
وأنّا تغيَّرنا زماناً وموضعا

الى اليأس

كان بيني وبـين الياس كرم من كفتون مراسلات شعرية .
وبما أرسلت إليه على سبيل المداعبة هذه الأبيات سنة ١٩١٩ .
وقد وضعت الهمزة على اسمه (الياس) فصار (اليأس) :

إلى اليأس بي شوق قديم وبي وَجدُ — يزيدان ما دامت حياتي تمتدُّ
يقولون إنّ اليأس فيه تعاسةٌ — وإنّ بأذيال الرجاء هو السعدُ
فلم أرَ هذا القول إلّا مهدّئاً — لواعج مشتاقٍ وطال به البُعدُ
ومَن يرجُ في الدنيا هناء يعش ولا — يلاقي ألذي يرجو وخيرٌ له ألزهدُ
ومَن يرجُ في الناس الصلاح يعِش ولا — يصادف خيراً طالمـا إلفهُ الرشدُ
ولكنَّ من يلقي على اليأس حمله — فذاك له كل السعادة والرغد

على نهر الصفا

سنة ١٩٣٠

كنا على نهر الصفا مع الشيخ إبراهيم المنذر . والدكتور ابراهيم أبو حيدر والشقيقين إبراهيم وفهيم. فطلب إلي الشيخ إبراهيم ان انظم بيتين من الشعر في نهر الصفا فقلت :

نهر الصفا هيَّجت بي أشجاني — وجعلتني أبكي على أوطاني
الماء في وديانها يجري وكَمْ — في سهلها للماء من ظمآن

وداع الوطن

نظمتها يوم سفري من بتمبوره إلى أثينا سنة ١٩١٩ .

وداعاً أيها الوطن ٱلحبيبُ   نسيرُ وههنا تبقى القلوبُ

إليك بنا اشتياق ما حيينا   وإن غبنا فحبك لا يغيبُ

وان كنا قضينا فيك مرّاً   فذكرك لن يزال لنا يطيب

رحلنا عن ربوعك مُذ رأينا   بأرضك ليس للأُدبا نصيب

فشعبك كالخراف لكل راعٍ   وراعيه لدى التحقيق ذيب

وحكّام البلاد لهم نفاق   خصوصيٌّ وسلطان عجيب

يرقّون ٱلمنافق والمرائي   ليخدمهم كما تقضي ٱلجيوب

وإن وجدوا أميناً مستقيماً   أذلّوه وعفّته ذنوب

وأما الشعب فهو كما عهدنا   يروّعه من الراعي القضيب

غنيّ المال سيّدهم ولكن   غنيّ العلم تكرهه القلوب

فكم خطبوا وكم كتبوا جزافاً   وكم نادوا ولكن لا مجيبُ

فأشقى الناس في وطنٍ كهذا   محبُّ ٱلحق وٱلخير ٱلاريب

سألت الله أن يهدي بلادي   رقياً كي يعيش بها الأُديبُ

وسوف يكون للظلّام عند ار   تقاء بلادنا يوم عصيبُ

الى المطران مسرّة

أرسلت هذه القصيدة إلى المطران جراسموس مسرة تهنئة بوسام المخلص المهدى له من ملك اليونان اسكندر الأول سنة ١٩٢٠ .

المجد ملك أبي ٱلحجى اليقظانِ   خدنِ ٱلهدى والعلم والعرفانِ

المجد يعرف أهله وأجلّهم   أهل التقى والفضل والإحسان

هؤلاء أبطال الشعوب وليس مَن   قتلوا الأُلوف بساحة الميدان

هؤلاء يحيون ٱلأُلوف بعلمهم   وبفضلهم فانظرْ وقل شتّانِ

إيِ أيها المجد العزيز اليك قد   سار الورى لكنهم قسمان

قسمٌ سبيلهمُ الفساد ومجدهم   مهما تمادى فهو مجدٌ فانِ

أما الأُولى اتخذوا الفضيلة منهجاً   فالآن مجدهمُ وكلّ أوانِ

كسيادة الحبر النبيل جراسمو   س مسرةٍ سامي العلى والشانِ

مَن أيّدت أفعاله أقواله ا   لغرّاء في ٱلأَعمال والإيمانِ

بيراع ذي حدّين يهدي شعبه   وبمنطقٍ أربى على سحبان

مالي أُجرّب وصفه وهو ٱلذي   عُرفت مكانته بكل مكان

وعلام أطّلب الثناء وفضله   بادٍ فلا يحتاج للتبيان

عرفتْ ملوكُ ٱلأرض قيمته فكم … أهدوا إلى علياه من نيشان
واليوم يهديه وساماً أولاً … اسكندر حامي حمى اليونان
ان الوسام من المليك دلالة … جُلّى على ٱلإكرام والشكران
فاهنأ بذا ٱلإكرام يا مولاي … واسلم للكنيسة واحد الأركان
واقبلْ عواطف مخلص من طبعه … نظم الحقائق في بسيط بيانِ

عن أثينا في ١٢ أيار سنة ١٩٢٠

القرنة

سنة ١٩٣٠

كنا في حفلة في بلدة المنصف من مقاطعة (القرنة) فوقف الشقيق ابراهيم وألقى خطاباً ردّد فيه قوله : يا أبناء القرنة . ولا أعلم لماذا سموها (القرنة) . فوقفت وارتجلت هاتين البيتين . وكنت يومئذ أدير أبرشية جبل لبنان التابعة لها القرنة :

وقفت أجيل الطرف في أبرشيتي … فلم أرَ فيها ما يفرّج كُربتي
تغلغل فيها السُوس من كلّ جانبِ … ولم يبق منها سالماً غير قرنةِ

أحب العلم

من رسالة إلى الياس اسكندر ناصيف
من بتعبوره نظمتها في أثينا سنة ١٩٢٠

ذكرتك يا لياس وكيف أنسى … زماناً قد قضيناه سعيدا
ذكرتك حينما فتشت حولي … ولم أرَ ذلك ٱلخلّ الودودا
عرفت مبادئي وعرفت قصدي … وآمالي وهاتيك البنودا
تذكَّرْها وثق أني عليها … سأبقى ما حييت ولن أحيدا
عرفت محبتي وعرفت ودّي … واخلاصي وهاتيك العهودا
تذكَّرْها وثقْ اني سواها … وغير الشوق لم أعرف جديدا

أحبّ العلم لا ليقال عني … عليم يُبدع ٱلرأي السديدا
ولكني عشقت العلم حتى … نسيت لغيره عندي وجودا

الإسم والوسم

كتبت تحت رسمي سنة ١٩٢٢ هاتين البيتين

نمرُّ بهذي الأرض يحملنا الجِسمُ … نعيش و نشقى والفناء لنا حتمُ
و نتركها قسراً إلى غير عالمٍ … ويبقى بها من بعدنا الإسمُ والوسمُ

أيها المال

كان شقيقي الأكبر نسيم يرسل إلي (من بوسطن) الى أثينا مبلغاً من المـال شهرياً . وحدث أن تأخرت الحوالة . فأرسلت اليه هذه الأبيات : سنة ١٩٢٠

أيها ٱلمال لا عليك السلامُ   فسد ٱلخلق مذ حواك النظامُ
أيها ٱلمـال لا تريدك جيبي   وهي للكتب واليراع مقامُ
إنما الناس يعبدونك حتى   إن كفرنا بك التقانا ٱلحمام
كم أديبٍ من الدنانير خلو   ثوبه البؤس والشقاء طعام
كم نفوس تموت في طلَبِ ٱلـ   ـمال لتحيا بموتها ٱلأجسام
أيها الناس قد عبدتم جماداً   كل يوم له الضحايا تسامُ
غصّت ٱلأرض بالدماء وراحت   تتمشى على ٱلأنامِ ٱلأنامُ
حيث دارت رحى ٱلحروب وقامت   دولة القتـل وٱلمليك ٱلحسامُ
كل هذا لأجل مالٍ ولولا   شهوة ٱلمال ما طغانا ٱلحرام
أيها الناس هل يقوم نظام   ينبذ ٱلمال كي يسود السلام
أم إلى ٱلمال تهرعون جميعاً   وعلى ٱلمال سوف يبقى الخصامُ

الوعود في نيسان

كان شقيقي ابراهيم وعدني بارسال مبلغ من المال في شهر نيسان ولما مضى الشهر ولم يصلني المبلغ أرسلت اليـه هذه الأبيات : سنة ١٩٢٠

يا شقيقاً غرامه قد لهاني   عن غرام ٱلمحصّنات الحسانِ
كل يوم أزيد فيك غراماً   وسهام البعاد تشوي جناني
كل يوم يقول عقلي لقلبي   كنْ صبوراً إلى حلول ٱلأوانِ
إنما القلب في الشدائد طفل   والرزايا تفلّ حدّ السنانِ

قاتل ٱلله عالماً ليس فيـه   غيرُ حُرٍّ وفاضلٍ مَن يُعاني
لست أشكو اليك دهراً خؤوناً   قد بلاني بما به قد بلاني
لست أشكو ٱلأنام جمعاً وفرداً   ومزايا يكلّ عنها لساني
لست أشكو غنى لئيمٍ بخيلٍ   والأريب الكريم مرمى ٱلهوانِ
لا وربي فلست أشكو وجوداً   كيفما كان أمره هو فانِ
إنما جئت يا شقيقي أشكو   منك يا مَن أُصيب بالنسيان
إنْ تحبّ الشقيق فاذكر وعجّل   بوفاء الوعود في نيسانِ

بيني وبين جورج اطلس

أثينا سنة ١٩٢١

أرسل إلي جورج أطلس صاحب جريدة (الاتحاد العربي) في سانبولو – البرازيل بيتين من الشعر على أثر مقالة أرسلتها اليه بامضاء مستعار (القسقاس)(١) وهما :

سلام لآثينا القديم ومَن بها … تردّى الثياب السود في شكل شمّاس
وخاف انتقاد الحاكمين بأرضه … ففرّ إلى الغابات في ثوب قسقاس

فأجبتهُ بالأبيات التالية :

أيخشى انتقاد الحاكمين بأرضه … فتىً قد تردّى ثوب قس وقسقاس
وليس ليرعى البهم في البيد إنما … ليرعى نفوس المؤمنين من الناسِ
إذا كان إنكاري لإسمي خطيئةً … فكل الخطايا بعد هذا كقدّاس
من الناس مَن يهوى انزواءً ببيته … ومنهم مُن يهوى الخروج بأجراس
فلا تعذل الإنسان قبل اختباره … لئلّا يموت العدل من حكمك القاسي

---

(١) القسقاس هو الراعي الذي لا يغفل عن شيء .

الى جريدة « الخليج »

من رسالة إلى جريدة (الخليج) التي كان يصدرها في الإسكندرونة الأبوان اغناطيوس حريكه وحنانيا كساب . وكنت يومئذ أصدر مجلة (الأمل) في آثينا . وقد نشرت هذه الأبيات في جريدة الخليج عدد ١٢آب سنة ١٩٢٢

على الخليج سلامٌ من فتىً ثملِ … بكل داعٍ إلى الإصلاح والعملِ
أهلاً بطلعتك الغرّاء تنبئنا … بمبدإٍ صائب خالٍ من الخللِ
سِرْ في سبيلك وأهزأ بالصعاب ففي … قهر الصعاب يطيب الفوز للبطلِ
وارفعْ نداءك لا تجعلْ به همساً … فالشعب ينعم في نوم من الكسلِ
واضربْ بموجك صرح الجهل معتمداً … على الحقيقةِ واهدمْهُ بلا وَجَلِ
فللحقيقة صحب عزّ ناصرهم … من عالمٍ عاملٍ أربى على الأُوَلِ
وفي البلاد نفوس إن نفخت بها … روح الرقيّ أعادت مجدها الأزلي
وفي جوارك أقرانٌ يطيب لهم … هذا الجهاد ولو أفدوه بالمُقَلِ
إلى الخليج باخلاصٍ أمدُّ يدي … مصافحاً يده من قارب «الأملِ»

رثاء عطا الله قطيني

هو شقيق المطران ملاتيوس قطيني
الذي طلب مني نظم هذه الأبيات .

هو العمر مهما طال آخرهُ القبرُ ... فلا طوله يجديك نفعاً ولا القصرُ
وفي الكون أسرار يحاول حَلَّها ... فَتىً هو في عرفي بكامله سرُّ
يجيء إلى هذي الدُنى لا مخيَّراً ... ويتركها قسراً متى صدر الامرُ
فلا هو مسؤول إذا جاء من أب ... عظيم غنيّ أو حقير به فقرُ
ولا هو مسؤول إذا جاء يومه ... فخارت به الأعصاب وانصرم العمر
ولكنه المسؤول عن فعله الذي ... يقوم به حراً وكل امرىءٍ حُرّ
فان عاش موقوفاً لخدمة نفسه ... يموت وفي سفر الوجود له صفر
وان عاش يبغي النفع في نفع غيره
يموت ويبقى في الوجود له ذكر
يُعدُّ حكيماً مَن يعيش مكرّماً ... يروح ويغدو والصفاء له خدرُ
وأحكم منه مَن يموت مكرّماً ... ويترك آثاراً يخلّدها الدهر

كمن في حمى بيروت فارق أهله
فولولت الفيحاء وانتحبت مصرُ(١)
فتىً في ربيع العمر لم يأتِ منكراً
تمثّل فيه الصدق واللطف والطهرُ
عطا الله سمّوه فكان عطية ... لمن حوله قد نابه اليتم والعسرُ
قضى زهرة الأيام في جمع ثروة ... وغايته من جمعها الخيرُ والبرُّ
رأى أن سوريّا بها اليوم حاجة ... لعلمٍ ودين كي يكللها النصر
فأوصى لدن حان الرحيل وصيةً ... تناقلها الكتاب والقول والنشر(٢)
كذا فليكن مَن عاش في الناس مثرياً
وما كل مَن حاز الثراء له قدرُ
إلى مثله للعُرب ذا اليوم حاجة ... «وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر»
عطا الله إن ترحل وإن نالك البلى ... فشخصك باقٍ والقلوب له قصرُ

---

(١) جاء في ورقة النعي ان المرحوم توفي في بيروت وان اهله في دمشق وفي مصر .

(٢) أوصى الفقيد ببناء كنيسة وتعليم يتيم من ماله المتروك عنه. ونشرت الصحف وصيته .

بكيتك عن بُعد كأنّي حاضرٌ ... أشاطر حزناً ضاق في حمله الحبر[١]
أرى حولك الباكين أهلاً وصحبة ... وكلّهمُ قد خانهم بعدك الصبر
فيا آله صبراً فما الموت للفتى ... سوى ليلة لليوم يعقبها الفجر
وما الأرض للسكنى ولكنها لنا
إلى عالم الأرواح في مـــذهبي جسرُ
سيجزله الرحمان أجراً لفضله ... وهل محسن في الناس ضاع له أجر
سلامٌ أيا روح الفقيد عليك من ... فتىً خانه في ندبكِ النثر والشعر[٢]
سلام نؤدّيه مساءً وبكرةً ... إلى أن يوافينا فيجمعنا الحشرُ

عن اثينا في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢

---

(١) الحبر هو شقيق الفقيد المطران ملاتيوس قطيني .

(٢) اشارة إلى الرثاء النثري الذي ارسلته الى المطران ملاتيوس قطيني الذي عاد وطلب مني رثاء شعرياً فلبيت طلبه .

دعني أسير الى الرياض

اثينا سنة ١٩٢٣

دعني أسير إلى الرياض لأهربا ... مما تفاقم في المدينة من وبا
وأجول تحت ظلالها مترنماً ... بقصائدي متذكراً عهد الصبا
متنشقاً طيب الهواء منشّطاً ... عقلي وجسمي بعدما قد أتعبا
متسمعاً شدو الطيور بها وقد ... رقصت أزاهرها على نغم الصَبا
متنقّل الاقدام تحت غصونها ... ومجمّعاً ما كان منها طيّبا
وممتّعاً نظري بأجمل منظر ... يوحي إلى الرائي ليشكر مَن حبا

دعني أسير إلى الرياض فإنني ... أخشى الوباء إليّ أن يتسرّبا
فالناس قد مرضت نفوسهُم كما ... مرضت جسومهمُ ولن تتطببا
كلٌّ يخال هناءه في ماله ... فيعيش موقوفاً على أن يكسبا
كلٌّ يحاول أن يعيش منعّماً ... وسواه أن يشقى وأن يتعذّبا
ولذا نرى هذا التفاوت بينهم ... فكأن آدم لم يكن لهمُ أبا
ولذا نرى دولاً يحارب بعضها ... بعضاً وأقواها يكون الأغلبا

دعني أسير إلى الرياض فليس في ... أهل ٱلمدينة صالح كي أصحبا
فسدت ضمائرهم لذاك تراهمُ ... ٱتخذوا النفاق عن الفضيلة مركبا
وتراهُم بلعوا ٱلجمال ويعرضون ... عن البعوض تمدُّناً وتأدُّبا
والصدق شرٌّ عندهم ونقيصة ... والخير كل الخير في أن تكذبا
ولذا يرقّون ٱلمرائين الأُولى ... يبدون ما لا يضمرون من الإبا
وإذا بدا فيهم حكيمٌ مرشدٌ ... قاموا عليه وسلّموه ليصلبا

دعني أسير إلى الرياض لأبتني ... كوخاً وأحيا ناسكاً مترهّبا

شبلي ملاط

كان شاعر الارز شبلي ملاط مديراً لناحية الشوير . وكنت رئيساً لدير ماز الياس شويّا . زارني يوماً فانشدته هذه الابيات . وكان ذلك سنة ١٩٢٨ :

سرّ شبلي بعقلهِ وبقلبهْ ... وبحبٍّ لغـيرهِ ولربّهْ
أنت شبلٌ وكلنا لك صحبٌ ... قوّة المرء في محبّة صحبهْ
فتحكّمْ بذي القلوب وتابعْ ... خدمة العلم لا تُبالِ بصعْبهْ

لبنـــان

نظمتها في الباخرة (بالكس) في رجوعي من لبنان إلى أثينا في مقالتي المنشورة في جريدة (الهدية) عددي ١ و ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ بعنوان (رحلة طالب) .

لبنان يا وطناً عرفتُكَ أولَا ... يا مرتع الخلان إخوان الوَلا
في قربك العيش المنغّص طيّب ... وببُعدك العيش المنعَّم ما حلا
إن كنت تحفظ في المحبة عهدنا ... عُدنا إليك كما وعدنا أو فلا
وإذا قضَينا العمر في بُعد فلا ... ننفكّ نسعى أن تسير إلى العلى
فمحبّة الأوطان إن غُرست بنا ... تبقى ولو لعبت بنا أيدي البلا
لبنان إن تحتجْ إلى دمنا فثِق ... أنّا نجود به فداك محلّلا
وإذا قضى حكم الزمان ببُعدنا ... فسواك لا نهوى نظيرك منزلا

فصول الحياة

أثينا سنة ١٩٢٣

أرأيت زهر اللوز غصنا كلّلا   وعبيره الفوّاح قد ملأ الفلا
أرأيته يذوي ويترك خلفه   شيئاً إلى ثمرٍ تراه تحوّلا
أرأيته والريح قد عصفَت بـه   فغدا على البطحاء يعتنق الكلا
أرأيت أمطار السماء تساقطت   فقضت عليه كما أرادت بالبلى
هذي فصول حياتنا فربيعها   زهر الشباب وصيفها ثمر حلا
وخريفها دور التقهقر في القوى   وشتاؤها موت يجور على الملا

وسلّ النفس

من قصيدة نظمتها سنة ١٩١٢

وسلّ النفس عمّا ليس يُرجى   بما يُرجى كلا الأمرين فانِ
ولا تجزعْ لخطبٍ حلّ عفواً   ولا تحزنْ له قبل الأوانِ

الى جريدة (الهدية)[1]

أثينا سنة ١٩٢٣

أقضي سحابــة أسبوعي مع الكتب
مثابراً بــين أقراني على الطلب
وجامعاً من ثمار العلم ما رغبَت   نفسي به من لذيذٍ للنُهى عَذِبِ
وكلما خلتُ نفسي أنّها شبعَتْ   من العلوم أراها جدَّدَتْ رغبي
حتى يكاد يغيب الفكر عن وطن   قد غبت عنه وعنه القلب لم يغبِ
وبينما أنا في ذي الحال منهمك   بما ذكرت ومنهوك من التعب
تزورني آخر الأُسبوع زائرة   فألتقيها بصدرٍ واسع رحبِ
هي « الهديّة » في أقوالها حكم   لأنها بنت آل العلم والأدب
كم حدّثتني عن الإخوان في وطني   بكل صدق وحاشاها من الكذب

---

(١) كانت تصدرها مطرانية الروم الارثوذكس في بيروت وكنت اراسلها من أثينا .

يا نفوس الجدود

نظمتها لتلميذي نايف سابا (من عيتا الفخار) فأنشدها في حفلة جمعية القديس يوحنا الدمشقي في دمشق سنة ١٩٢٦ (١)

يا نفوس الجدود زوري الشآما   وأقيمي من الرموس نياما
ليُعيدوا لنا زماناً مجيداً   فيه كان السوريُّ ينحو الأَماما
يا زمان الُهدى عليك سلام   من نفوس اليك تصبو هُياما
يا زمان العلوم هل من إياب   لربوعٍ بلغت فيها الفطاما
يا بني الشام إن تريدوا نهوضاً   ورقيًّا وأن تنالوا المراما
أرضعوا العلم للبنين صغاراً   فيشبُّوا وينبذوا الأَوهاما
واغرسوا الدين فيهم ليعيشوا   بسلامٍ محبّذين الوئاما
وازرعوا في قلوبهم حبّ سو   ريّا ليرضوا بها كباراً مُقاما

(١) عندما نظمت هذه الابيات لم اتحمس لها. ولكن عندما سمعت نايف سابا ينشدها بصوته الرخيم. تصوّرت ان الكلمات التي نظمتها تماثيل. وان نايف بصوته الجميل نفخ فيها فنطقت . وهذا أوحى لي ما قلته عن يوحنا الدمشقي في محاضرتي : « كان يصنع المعاني أشخاصاً بشعره الدقيق. ثم ينفخ فيها انفامه الرقيقة فيجعلها تتكلم » .

من شعر القديس يوحنا الدمشقي

في المحاضرة التي القيتها في جمعية يوحنا الدمشقي في دمشق سنة ١٩٢٦ بحضور البطريرك غريغوريوس حداد رويت بعض أشعار القديس يوحنا الدمشقي كما وردت في الترجمات العربية وكما نظمتها شعراً .

يقول القديس الدمشقي :

نص الترجمة النثرية

« منذ شبابي آلام كثيرة تحاربني . لكن أنت يا مخلصي أعضدني وخلّصني » .

نظمتها شعراً هكذا :

منذ الشباب أحارب الأهواء   لِأَزيد في سُبل الكمال عَلاءَ
فانظرْ أيا يسوع ضعفي وانتشِلْ   نفسي وكُنْ لي في الشجونِ عَزاءَ

ويقول الدمشقي :

نص الترجمة النثرية :

« ان عيشة أهل البراري لمغبوطة جداً . لأنهم بالعشق الإلهي يتطايرون دائماً » .

نظمتها شعراً هكذا :

هنيئاً لسكان البراري البعيدةِ   إذ ابتعدوا عن مجلبات الخطيئةِ
وقد وجدوا الوقت الثمين ليصعدوا
بأفكارهم شَوقاً لربّ البريّـــةِ

القديس يوحنا الدمشقي شاعر وموسيقي. نظم الاشعار الكنائسية ولحّنها . ومن منظوماته كتاب (المعزي). وهو واضع العلامات للموسيقى البزنطية .

بعد الانتهاء من الحفلة المشار اليها استدعاني البطريرك غريغوريوس وكلفني ان اصحح لغة كتاب (المعزي) بمقابلة الترجمة العربية على الاصل اليوناني .

وقد لبّيت الطلب واتممت العمل وقد طبع من الكتاب ملزمتان في المطبعة البطريركية بدمشق .

ولسوء الحظ توفي البطريرك غريغوريوس وبيعت المطبعة بعد موته ...

نشيد دير صيدنايا

طلب إلي البطريرك غريغوريوس أن أنظم نشيدا (على وزن النشيد اليوناني) لدير صيدنايا فلبيت الطلب وكان ذلك سنة ١٩٢٧ !

حيِّ ديراً للبتولِ   في جبـــال القلمُونْ
وعلى صخرٍ جميـلٍ   قـــد بناه الأقدمُونْ

أيهـــا الدير القديمُ   يا سفينـــة النجاهْ
لنفوسٍ لا تهيمُ   بسوى حبّ الإلَهْ

فوقك العذراء تُصغي   لنداء الضارعـــينْ
وبك الزائر يبغي   ذلك المينـــا الأمينْ

كنتَ حُصناً للرجالِ   في العصور الغابراتْ
فاصطفاكَ المتعـــالي   معبـــداً للراهباتْ

فلمعْنَ بالشمائِـــلْ وانتصَرْنَ في الجهادْ
وغدَت منك الفَضائِلْ تتمشى في البــلادْ

كم رأينا من عجائِبْ في مُقامك الشريفْ
وسمعنا من غرائبْ تُدهش العقل الحصيفْ

غبطة المولى المعظمْ غريغوريوسُ الشَهيرْ
فيك قد شاد فأنعمْ ميتماً ينشي الصغيرْ

دمت ملجا لليتامى واللطامى البائساتْ
فتقبّل السلامـــا من قلوبٍ طاهراتْ

ايها الشعر

أثينا سنة ١٩٢١

أيها الشعرُ ما عشقتُ سواكا
لا لعمري ولا نويتُ نواكا
إنما الله قد قضى بظروفٍ
أشغلتني بكل شيء عـداكا

الشباب الناهض

ألقيتها في حفلة تنصير الطفل بن توفيق كرم في حامات بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٩٣٠

صدق الزمان وخلته لا يصدِقُ لّما تجمّع شملنا المتفرّقُ
شملٌ تفرّقه أيادي زمرةٍ خُلقوا لشرٍّ ليتهم لم يُخلقوا
هي زمرة دستورها فرّق تسد وقوامُها جبن وجهل مطبق
نجحوا بعصر الجهل في تفريقنا لكنهم في عصرنا قد أخفقوا
إني أقول لهم ولست بخائف إن أرغدوا أو أزبدوا أو أحنقوا
يا زمرة في الناس تلعب دورهـــا
تشقى إذا سعدوا وتسعد إن شقوا
دارت دواليب السياسة وانقضى عهد التفرّق فارحلوا وتمزّقوا
وبدا شباب ناهض يسعى إلى جمع الشتات بهمّة لا تلحقُ
هيّا أيا شبان لبنـــان إلى قمم الرقيّ وفي سماها حلّقوا
وتسابقوا في خدمة الوطن الذي أضحى على مجدٍ مضى يتحرّق
هيّا انفخوا في الطفل روح تجدُّد فعليه آمال الكبار تعلّق
عشتم بني حامات دوماً في هنا والخير فوق ربوعكم يتدفّق
وليحيَ لبنانٌ وفوق جباله علم التفاهم والتضامن يخفقُ

أمام المرآة

نظمتها في القاهرة لأول مرة شاهدت الشيب في رأسي . وعلى أثر فشلي في انتخابات مطرانية جبل لبنان ١٩٣٥

شاب رأس الحليم(١) قبل الأوان ... وانحنى كاهلي وجَفّ جناني
وذوى ورد وجنتيَّ وغارت ... فيَّ عيناي والتوت أجفاني
فرأيت السماء سوداء والارض ... جحيماً يزيد بي أشجاني

خلتُ في الرأس مبدأً وصلاحا ... فإذا الرأس بؤرة الأدرانِ
وحسبت الأعضاء تُصلح ما ... أفسد الرأس فلم يُصِبْ حسباني
عبثاً تطلب استقامة جسمٍ ... رأسه فارغٌ من الإيمانِ

(١) حليم اسمي قبل الرهبنة .

في مولد النبي

ألقيتها في حفلة مولد النبي في صور بناء على دعوة من المجتهد الأكبر السيد عبد الحسين شرف الدين وذلك بتاريخ ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٩

حيِّ الرسول الذي قد عزَّز العَربا
ومجده في الورى قد جاوز القُطُبا
فهو الذي لاح في الصحراء كوكبه
قد استنارت بــه الدنيا وما غربا
وهو الذي وحّد الفصحى وخلّدها
فصار قرآنــهُ أماً لها وأبا
يا أيها العُرب حيّوا يوم مولده ... وألفوا في مزايا شخصه كُتُبا
وفاخروا ما استطعتم باسمه وعلى ... هام النجوم ارفعوا في مدحه قُبَبا
ونفّذوا أمره في الذود عن وطنٍ
وجرّدوا لارتداد الغاصب القُضُبا

في اكليل

ألقيتها في حفلة اكليل الدكتور جبرا رفقه على الآنسة ناديا كريمة الأستاذ شكري سابا في كفرحاتا الكورة سنة ١٩٥٣

حرثتَ حقلك حتى صار بستانا
ملأتَ أرجاءه ورداً وريحانا
بنيتَ من حوله سوراً علا وسما
وقمت تحرس هذا السُور يقظانا
زرعتَ فيه من الأخلاق مشتلةً
سقيتَ حبّاتهـــا حُباً وإيمانا
فها هو الزرع في ظل الحنان نما
وأصبح الَحبُّ أشجاراً وأغصانا
وها هو اليوم « جبرا » جاء مطّلباً
غصناً فأحرزه رطباً وريّانا

الثائر

ألقيتها مساء الثلاثا ١٢ أيار سنة ١٩٥٣ في الحفلة التي أقامتها منظمة النجادة بذكرى الثورة العربيـة التي أعلنها الملك حسين عـلى الأتراك سنة ١٩١٦

عاف الرّباب وحطّم القيثارا   وطوى الكتاب وطلق الأشعارا
ومشى إلى قمم الجبال مشمّراً   عن ساعدَيه مجرّداً بتّارا
ومنادياً يا قوم هبّوا وادفعوا   عنكُمْ عدوًّا عاتياً غدّارا
هذا عدوٌّ أجنبيٌّ يعتدي   وهناك جارٌ لم يُراعِ جوارا
ومواطنٌ يسعى بكل وسيلةٍ   ليُعيد للأوطانِ الاستعمارا
ورئيس دينٍ في سبيل غواية   قد بدّد الأوقاف والأديارا
يا قومُ إنَّ السيل قد بلغ الرّبى   فإلام نصبرُ حاملين العارا
هيّا إلى حمل السلاح لنفتدي   وطناً تضجُّ شعوبهُ استنكارا
فالظلمُ فيه ضارب أطنابه   والجهل أرخى فوقه أستارا
والعلم إعلان الحقائقِ إنّما   علماؤنا طمسوا لها آثارا
والدين زهد في الحياة وديننا   رؤساؤه قد أصبحوا تُجّارا
ضاعتْ كرامات الرجال وكبّلت   أشرارُنا في حكمها الأخيارا
يا قوم قوموا نجمعُ الظّلّام في   دارٍ ونُضرم جانبَيها النارا

تشيكوسلوفاكيا

نظمتها في الطائرة بين براغ وموسكو بتاريخ ١٤ تموز سنة ١٩٥٩

تشيكوسلوفاكيا حان الرحيلُ ... ومن مرآكِ لم يُروَ الغليلُ
قَضينا فيكِ أياماً قِلالاً ... وقد يُغني عن الكل القليلُ
فشاهدنا الجمال بكل ما قد ... رأينا فيكِ فالكلُّ جميلُ
جبالٌ كلها شجرٌ ظليلٌ ... ووديانٌ وماءٌ سلسبيل
وأرضٌ خَصْبةٌ فيها حياةٌ ... لقومٍ ليس بينهمُ كَسولُ
ومُدنٌ عامراتٌ من قديمٍ ... تُحيطُ بها الجنائن والسهولُ
وأجملُ ما رأينا فيكِ قومٌ ... تمدُّنُهمْ عريقٌ بل أصيلُ

موسكو

قرأت الأبيات التي نظمتها في الطائرة عن تشيكوسلوفاكيا لرفيقنا في الرحلة المطران نيفن سابا فقال: ما انا وتشيكوسلوفاكيا نحن ذاهبون إلى موسكو فهات لنا عن موسكو. فنظمت الأبيات التالية.
وقد أذيعت من راديو موسكو مراراً

أموسكو أرى أم في منامِيَ أحلمُ ... بأنّي في جَنّاتِ ربّيَ أنعمُ
بلى هذه موسكو فهذي جنانها ... مياهٌ وأزهار وطيرٌ ترنّمُ
نَعَمْ هذه موسكو فهذي سماؤها ... شموسٌ وأقمار تلاقَتْ وأنجُمُ
ويا ليلةً حطَّت بموسكو رحالُنا ... يقودُ خُطانا بطريركٌ معظَّمٌ (١)
أطلّت بها موسكو يشعشع نورها ... فقمتُ أحيّيها وشعريَ أنظمُ
وما كنتُ يوماً كاتماً لعواطفي ... فكيف انطباعاتي بذا اليوم أكتم
وهل يُنكر المعروف من آل يَعرُب ... ويكتمهُ إلّا عَقوقٌ وأبكَمُ
فموسكو لها ذكرى بنفسي جميلة ... وحُبٌّ بقلبي نازلٌ ومخيّمُ
سأذكرها ما دمتُ حيًّا وإن أمُتْ ... تحنُّ اليها الروح مِنّي وأعظُمُ

---

(١) هو البطريرك ثيوذوسيوس ابو رجيلي

الا في سبيل السلم

ألقيتها في مونتريال كندا صيف
سنة ١٩٦٧

ألا في سبيل السلم ما أنا فاعلُ   وجمع قلوبٍ فرّقتها المشاكلُ
ولا أدّعي أنّي وإن جئتُ آخِرا   سآتي بما لم تستطِعه الأوائلُ
فإنّي أعي ضعفي وأعلمُ أنّني   على رغبة الجمهور في السلم نازلُ
وأنّيَ من طين وماءٍ وإنْ تَطُلْ   حياتي فإنّي في النّهاية زائلُ
فيا إخوتي خلّوا التنازع جانباً   ومن أجل توطيد المحبّة ناضلوا
فأنتمُ للعُرب الكرام حصونُهم   وأنتمْ للبنان العزيز معاقلُ
أخذتُمْ عن الأرز الرفيع إباءَكم   وفيكمْ من حرمون طابَتْ شمائلُ
بفضلكمُ نحيا وتحيا بلادُنا
ومن فضلكُمْ في الأرض تجري الجداولُ
أدامكمُ الرحمانُ صفًّا موحّداً   وعاشَتْ بكُمْ للمكرمات المحافلُ

في المكسيك

ألقيتها في الحفلة التي أقيمت لي في
نادي لبنان في المكسيك سنة ١٩٦٨

إلى المكسيك جَدَّ بِيَ الهيامُ   وفي أرجائها طاب المُقامُ
بلادٌ زادها الله جمالاً   يديرُ شؤونها بطلٌ همامُ
رئيسٌ بالفضائل قد تحلّى   له وجب الثّنا والإحترام
يعاونه بدولته رجالٌ   يزينهمُ الوفا والإنسجام
وشعبٌ خلقه كرَمٌ ونُبلٌ   تميّزه الشهامة والنظام
يحبّون الضيوف إذا أتوهمْ   وقد يستوطنون إذا أقاموا
هي المكسيك إنْ حدّثت عنها   وعن أمجادها طال الكلامُ

قضيتُ العمر في الآلام حتى   عجبتُ لمن يعيش ولا يُضامُ
وعاداني الزمان بدون ذنب   وحار بني الأقاربُ والانامُ
فما غيّرتُ رأيي في القضايا   ولا أودى بعاطفتي الخِصامُ
شكوتُ ظلامتي سرًّا وجهراً   ومن يشكو الظلامة لا يُلامُ

بني الأعراب في المكسيك عشتمْ
بفضلكمُ يعودُ ليَ ابتسامُ

أعدتُمْ لي شباباً ضاع مني — ولم يكُ للمشيب به اصطدامُ
ففيكُمْ من «بتعبورا» صحابٌ — ومن لبناننا قومٌ كرامُ
بلاد العُرب واحدةٌ فمنها — فلسطين ومصرٌ والشآمُ
أسودُ العُرب نامَتْ عن عرينٍ — فهاجمه العدوُّ وهُم نِيامُ
أفيقوا وانبذوا الاحقاد منكم — عسى أن يجمعَ الشملَ الوئامُ

بني الأعراب في المكسيك شكراً
على هذي الحفاوةِ . والسلامُ[1]

(١) اي والسلام عليكم .

في سانبولو ـ البرازيل

ألقيتها في الحفلة التي أقيمت لي في
نادي راشيا في سانبولو ـ البرازيل
بتاريخ ٤ نيسان سنة ١٩٦٨

مُنذ الصِبا قلبي هوى لبنانا — فغدا به طول المدى ولهانا
طفتُ البسيطة شرقها مع غربها — لم ألقَ في الدنيا له أقرانا
بلدٌ يفوق بسحرهِ وجمالهِ — وبأرزه وجبالهِ البلدانا
وطن الثقافة والحصافة والهُدى — إنّي أفاخر باسمه الاوطانا
أجدادنا في سالف الازمان قد — منحوا الشعوب العلم والعُرفانا
وبأرضنا وُلد المسيح وشرقنا — أعطى الورى الإنجيل والقُرآنا
دُولُ العُروبة عُصبةٌ أبناؤُها — يبقون أنّى يمّموا إخوانا
وتفرّقوا في الخافقين وأصبحوا — رسلَ العروبة موطناً ولسانا
أنظرْهُمُ في كل مُغترَبٍ فهُمْ — في كل مَيدانٍ غدوا فُرسانا
وزُرِ البرازيل التي ازدهرت بهم — لترى بفضلهمِ بها العُمرانا
وانزِلْ بسانبول الحبيبة إنّها — ضمّت لنا من أهلنا خُلّانا
وادخُلْ نواديها التي قد أصبحتْ — للمكرمات وللندى عُنوانا

هيهات أن أنسى البرازيل التي　　　يرتاح تحت تُرابها موتانا

كان ابن عمّي أسعدٌ[1] في عصره　　　ذاك الخطيب الحاذق الملسانا

وأخوه ميخائيل[2] أعطى ماله　　　للآخرين فعلَّم الإحسانا

فكلاهما كسبا بما فَعلاهُ في　　　دُنيا الخلود مكانةً ومكانا

بالعلم أو بالمال لا يسمو الفتى　　　إنْ لم يكن هو ذاتُه إنسانا

شكراً بني الاعراب في سانبول قد　　　أنسيتموني الهمَّ والأحزانا

أبقاكُم ربّي مثالاً للوفا　　　ووقاكُم الآلام والأوهانا

وتقبّلوا من شاعرٍ بجميلكُمْ　　　هذا الثّنا والحُبَّ والشُكرانا

---

(١) هو الدكتور في الحقوق اسعد بشاره (الخوري) الخطيب المفوّه .

(٢) هو ميخائيل بشاره (الخوري) المثري الكبير. الذي وزّع ثروته في حياته على المؤسسات الخيرية في سانبولو دون تفريق بين الأديان والطوائف .

قبل الحفلة كنا في زيارة للشاعر الكبير شفيق معلوف مع سيادة الاخ المطران اغناطيوس الفرزلي . وجرى الحديث عن الشعر . فقال له سيادته: ان المطران بولس ينظم وهو يستعد لالقاء قصيدة في الحفلة التي سنقيمها له في نادي راشيا. فسألني الشاعر الكبير عن صحة ذلك فقلت له : انا لست شاعراً ولكنني أنظم الشعر . وها انا ذا سأسمعك بعض ابيات من القصيدة التي نظمتها لألقيها في الحفلة وموضوعها (لبنان) وارتجلت الابيات التالية :

فلكمْ صعدتُ جباله مترنّحاً　　　ولكَمْ نزلتُ وهادَهُ جذلانا

ولكَمْ نظمتُ على هدير مياهِهِ　　　شعراً يغنّيه السوى ألحانا

ولكَمْ وقفت على رُباه مصلّياً　　　وطلبتُ من ربّ الورى الغُفرانا

فقال الشاعر الكبير : لا بأس بها . إنها شعر وليست منظومات . والواقع ان هذه الأبيات لم تكن من صلب القصيدة . بل ارتجلتها في تلك الزيارة . ولم أقرأها في الحفلة .

أرمينيا

ألقيتها في حفلة أقامها نائب رئيس جمهورية أرمينيا لوفد الكرمي الانطاكي الذي كان بضيافة بطريرك أرمينيا السيد (فاسكان) في العاصمة (إيارافان) بتاريخ ٩ – ١١ تموز سنة ١٩٦٩ وقد أذيعت هذه الأبيات من راديو إيارافان

أرمينيا رُدّي إليَّ فؤادي … حتى يعود حنينهُ لبلادي
أنسيتِني أهلي وأصحابي الأُولى … يُضنيهِم هجري وطولُ بُعادي
ردّي فؤادي فالجوى يَشتدُّ بي … لمرابـع الآباء والأجدادِ
أرمينيا بلد الفِدا أبناؤها … أعطوا الورى مَثَلاً بالاستشهاد
كمْ شنَّع المستعمرون بأهلها … كمْ علَّقوا منهمْ على الأعوادِ
كمْ ذبَّح الأتراكُ من أبنائها … مأساتُها بغنىً عن التعدادِ
أرمينيا مهما يَطُلْ عنكِ النوى … فهواكِ سوف يَظلّ ملء فؤادي

صباح قبرصي

نظمتها على الطريق وأنا ذاهب لحضور اكليل حفيد شقيقي المحامي صباح عبدالله قبرصي على الآنسة متيلدا الزاخم . الذي جرى في دير البلمند بتاريخ ١٩٧٣/٦/٢٤

على قمّة هذا الجبلْ … قضينا ليالي الشباب الاولْ
وفي ديره القديم الأجلّ … نظمنا القريض وقلنا الزجلْ

ورُحنا نضحّي لأجل المبادي … وننفخ في الناس روح الجهادِ
وندعو لخدمة هذي البلاد … فما قام مَيْتٌ يجيبُ المنادي

وبعد غيابٍ وطول كفاحْ … يعودُ لددّه[1] لِيلقى المِلاحْ
فيعلق فيها بحُبٍّ مُباحْ … ويدخلُ سجن الزواج صباحْ

---

(١) ددّه : هو اسم القرية التي منها العروسان .

انا والزجل

سنة ١٩٠٦ توفي الخال الشيخ جرجس العازار الذي كان عضواً في مجلس إدارة متصرفية جبل لبنان . وقد حضرت حفلة دفنه في أميون . وسمعت القوّال سمعان (من بطرام – الكوره) يندب الفقيد بهذين البيتين .

يا ناس والله خسارهْ   مات عضو من الإدارهْ
صدّت سيوف الصقيله   والصدا عا السيف عارهْ

فأعجبت بهذا القول وما زلت أحفظه إلى اليوم .

وسنة ١٩١٠ أصدر شقيقي الاكبر نسيم جريــدة (سوريا الجديدة) في بوسطن وخصص فيها صفحة للزجل . وكنت أطالع تلك الصفحة بإعجاب .

وخلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) عاش في بتعبوره قوّال غريب اسمه (الشويتي) وكان من القوّالين المشهورين. التقيت به مرة فقلت له :

إن كنت قوّال ومثبوتْ   شرّفنا الليله عا السهرَهْ
والشاطرْ ريتو ما يموتْ   بينفعْ وبيكسبْ شهرَهْ

فلبى دعوتي وافتتح سهرته بهاتين البيتين موجهاً الكلام إلى والدي :

يا بُونا إرفَعْ إيدَكْ   وباركْ جمع تْلاميدَكْ
بالقداسي والكهنوتْ   ما في بطرك بيزيدَكْ

وكنت أحضر حلقات الزجل في بتعبوره التي كان يتبارى فيها القوّالون أمثال مخايل صعب . ويوسف بربر . والياس فياض .

وسنة ١٩٣٥ عـــلى أثر تفشيلي في انتخابات مطرانية جبل لبنان نظمت هذه الابيات :

عقلي يا إخوانْ حِيرانْ   في ها الدُنيا والإنسانْ
بيقضّيها بالأحزانْ   وبيختمْها بالأكفانْ

بني آدم أنت مجنونْ   عقلك بالدنيا مفتونْ
بتِجينا بفنونْ فنونْ   وبتنسى يوم الديَّانْ

وان كنت صاحب مَبدَا   ما بتظلم ما بتتعَدّا
بتسالِمْ كلّ الأعدا   وبتبادلهم بالإحسانْ

ما بتصادفْ إعتبارْ   لا مِن كبارْ ولا من صغارْ
بيعطولك لَقَبَ حمارْ   وبينفُوكْ مِن الاوطانْ

بيني وبين فيليب لطف‌الله

في الحفلة التي أقيمت لي في النادي اللبناني في سانبولو – البرازيل سنة ١٩٦٨ قلت للشاعر المعروف فيليب لطف‌الله وهو من بسكنتنا – لبنان :

بسكنتنا وجبل صنينْ   حصن لبنان الحصينْ
الله يديم أهاليها   مقيمينْ ومغتربينْ

فأجابني الشاعر فيليب لطف‌الله بالابيات التالية :

بسكنتنا وجبل صنينْ   من القمّة لحدّ بتغرينْ
أجمعهم يا سيّدنا   من ألطافك ممنونينْ

———

جبل الشيخ ووادي التَيم   ما بعمرهم ناموا عاالضَيمْ
ما زال راعيهم بولس   قدرهم عالي فوق الغَيم

* * *

فهرس

الصفحة